منزلة السُّنة النبوية في الإسلام وبيان حقيقتها

د.محمد صفاء جاسم
كلية التربية للبنات - قسم علوم القرآن الكريم والتربية الإسلامية

ملخص البحث

إن للسنة النبوية منزلة عظيمة ومكانة رفيعة في الإسلام، فهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهي البيان النظري والتطبيق العملي للقرآن، ومهمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يبين للناس ما نزل إليهم، وما كان للبيان أن يناقض المبَّين، ولا للفرع أن يعارض الأصل، فالبيان النبوي يدور أبداً في فلك الكتاب العزيز لا يتخطاه، ولهذا لا توجد سنة صحيحة ثابتة تعارض محكمات القرآن وبيانه، وإذا ظن الناس وجود ذلك، فلا بد أن تكون السُّنة غير صحيحة أو يكون فهمنا لها غير صحيح، أو يكون التعارض وهمياً لا حقيقياً.

لقد عني المسلمون بسنة نبيهم عليه الصلاة وأتمّ التسليم كما عنوا بكتاب ربهم، فرعوها حق رعايتها، وقاموا على حفظها ورعايتها، والرحلة في طلبها، والمبالغة في التثبت والتأكد من صحة الحديث ونقله على الوجه الذي صدر به عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فوضعوا لذلك القواعد التي تبين الصحيح من السقيم، وجعلوا للرواية أصولاً تقوم عليها، وللرواة شروطاً لابد من توفرها فيهم.

إن مكانة السُّنة المطهرة ومنزلتها الرفيعة، واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام، هذا وأن كل حكم من الأحكام ثبت في السُّنة النبوية، وجب إتباعه والعمل به.

Simpliety sunna prophetic in lslam and reality

Mohammed Safaa Jassim
College Education for Women - Quran Sciences and Islamic Education Dept.

ABSTRACT

The sunna has the great effect in building the Islamic civilization, and the formulation of the Islamic thinking. It worked at spreading of soicinces at every district of Islam.

The purified sunna represent one of the main monuments of Islam after Quran in clarifying the basics of the human intercommunication, and the divine reality. It comes as an explanation to the myertious accounts in the

shariaa and sunna that it has begun to form an intellectual depth of the Mulsims' life.

The importance of *sunna* is it is the second source of legislation in Islamic after the holt Quran. It comes only to affirm what have been mentioned already in the Holy Quran, or clarifying what is not clear in the Quran.

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة:

الحمد لله الذي منَّ على المسلمين بإنزال القران الكريم، وتكفل بحفظه في الصدور والسطور إلى يوم الدين، وجعل من تمام حفظه حفظ سنة سيد المرسلين.

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذي أوكل الله إليه تبيان ما أراده من التنزيل الحكيم بقوله تعالى: **(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)**.[1] فقام صلى الله عليه وسلم مبيناً له بأقواله وأفعاله وتقريراته بأسلوب واضح مبين.

والرِّضى عن الصحابة الذين تلقوا السُّنة النبوية عن النبي الكريم، فوعوها، وحفظوها، وعملوا بها، وحرصوا عليها حرصهم على القرآن الكريم، ونقلوها للمسلمين كما سمعوها خالصة من شوائب التحريف والتبديل.

والرحمة والمغفرة للسلف الصالح الذين تناقلوا السُّنة المطهرة جيلاً عن جيل، ووضعوا لسلامة نقلها وروايتها قواعد وضوابط دقيقة لتخليصها من تحريف المبطلين.

والجزاء الخَيِّر لمن خلف السلف من علماء المسلمين الذين تلقوا قواعد رواية السُّنة وضوابطها عن السلف، فهذبوها ورتبوها وجمعوها في مصنفات مستقلة، فكانت خير تراث لخير أمة، نسأل الله أن يجعلنا منهم ويجمعنا معهم، آمين. وبعد:

فإن للسُّنة النبوية منزلة عظيمة ومكانة رفيعة في الإسلام، فهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهي البيان النظري والتطبيق العملي للقرآن، ومهمة الرسول أن يبين للناس ما نزل إليهم، وما كان للبيان أن يناقض المبَيَّن، ولا للفرع أن يعارض الأصل، فالبيان النبوي يدور أبداً في فلك الكتاب العزيز لا يتخطاه، ولهذا لا توجد سُنة صحيحة ثابتة تعارض محكمات القرآن وبيانه، وإذا ظن الناس وجود ذلك، فلا بد أن تكون السُّنة غير صحيحة أو يكون فهمنا لها غير صحيح، أو يكون التعارض وهمياً لا حقيقياً.

وإذا كان من المقرر أن السُّنة النبوية تفسر القرآن الكريم وتبينه، بمعنى أنها تفصل مجمله، وتفسر مبهمه، وتخصص عمومه، وتقيد إطلاقه، فأولى ثم أولى أن يراعى ذلك في السُّنة بعضها مع بعض.

لقد عني المسلمون بسُنة نبيهم عليه الصلاة وأتمّ التسليم كما عنوا بكتاب ربهم، فرعوها حق رعايتها، وقاموا على حفظها ورعايتها، والرحلة في طلبها، والمبالغة في التثبت والتأكد من صحة الحديث ونقله على الوجه الذي صدر به عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فوضعوا لذلك القواعد التي تبين الصحيح من السقيم، وجعلوا للرواية أصولاً تقوم عليها، وللرواة شروطاً لابد من توفرها فيهم حتى يجنبوا السُّنة زيف المزيفين وعبث المغرضين، كما تمثلت عنايتهم بها بمقاومة الوضع والوضّاعين وصيانتها والدفاع عنها في وجه من يروم النيل منها، وذلك بالتصدي للرد على ما أثير حولها من شبهٍ ومطاعن.

إن مكانة السُّنة المطهرة ومنزلتها الرفيعة، واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام، هذا وأن كل حكم من الأحكام ثبت في السُّنة النبوية، وجب إتباعه والعمل به، لأنه حكم الله على لسان النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا ما كان عليه الصحابة الكرام، فلم يفرقوا بين ما ورد من القرآن وما ورد من السُّنة في وجوب العمل بهما، ولم

يتركوا سنة الرسول عليه الصلاة والسلام لقول أحد مهما كان شأنه، وهذا ما كان عليه التابعون والأئمة ومن جاء بعدهم.

وهكذا وجب على المسلمين أن يُحكموا سنة النبي عليه الصلاة والسلام في كل شأن من شؤون حياتهم، وفي كل خلاف ينشأ بينهم، مع التسليم لكل ما حكم به النبي (صلى الله عليه وسلم) ،قال تعالى: (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً).[٢]

وقد قسمت بحثي هذا على مقدمة وفصلين وخاتمة وضم كل فصل ثلاثة مباحث، وهي كالآتي:

الفصل الأول: حقيقة السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي.

المبحث الأول: تعريف السنة لغةً واصطلاحاً وبيان محتواها.

المبحث الثاني: السنة من حيث أهميتها وحجيتها.

المبحث الثالث: حقيقة السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي.

الفصل الثاني: دور السُّنة في الدعوة والتوجيه.

المبحث الأول: واجب المسلمين تجاه السنة.

المبحث الثاني: مبادئ أساسية لتطبيق السنة.

المبحث الثالث: السنة ومنزلتها في مجال الدعوة والتوجيه.

الفصل الأول

حقيقة السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي

المبحث الأول: تعريف السُّنة لغةً واصطلاحاً وبيان محتواها

السُّنة: لغةً: السيرة حسنة كانت أو سيئة، قال خالد بن عتبة الهذلي:

فلا تجزعن عن سيرة أنت سرتها فأول راضٍ سنة من يسيرها

وسَنَنْتُها سناً واستَنَنْتُها: سرتها، وسننت لكم سُنة فاتبعوها، وفي الحديث الشريف قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :" من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ".[٣]

وحديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضبٍ لسلكتموه ".[٤]

وحديث: " ومبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية ".[٥]

وكل من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده، قيل هو الذي سنه قال نصيب:

كأني سننت الحب أول عاشقٍ من الناس إذ أحببت من بينهم وحدي

ويقال سننت الإبل: إذا أحسنت رعايتها والقيام عليها.[٦]

والسنن: الطريقة، يقال: استقام فلان على سنن واحد.[٧]

وقال الأزهري: السنة الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السُّنة، معناه: من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة.[٨]

والسنة –في الأصل – ليست مساوية للحديث، وتبعاً لمعناها اللغوي كانت تطلق على الطريقة الدينية التي يسلكها النبي (صلى الله عليه وسلم) في سيرته المطهرة، لأن معنى السُّنة لغة الطريقة، فإذا كان الحديث عاماً يشمل قول النبي وفعله، فالسنة خاصة بأعمال النبي عليه الصلاة والسلام.[٩]

وحين عبر الإسلام عن الطريقة بـ(السُّنة) لم يفاجئ العرب، فلقد عرفوها بهذا المعنى كما عرفوا نقيضها وهي البدعة، وكان في وسعهم أن يفهموا منها هذا المعنى حتى عند إضافتها إلى اسم الجلالة في مثل قوله تعالى:(سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ).[١٠] أما الذين سمعوا لفظها من النبي (صلى

الله عليه وسلم) في مثل قوله: " عليكم بسنتي" فما كان لهم حينئذ أن يترددوا في انصرافها إلى أسلوبه (صلى الله عليه وسلم) وطريقته في حياته الخاصة والعامة.(١١)

السُّنة اصطلاحاً:

هي:" ما أضيف إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خَلْقية، أو خُلُقية، أو إلى الصحابة، أو التابعين من قول أو فعل ".(١٢)

أو هي: " الطريقة الدينية منه (صلى الله عليه وسلم) التي يطالب المكلف بإقامتها من غير افتراض ولا وجوب ".(١٣)

وإذا ورد لفظ (السنة) في كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وكلام الصحابة والتابعين، فإن المراد به: " الطريقة المشروعة المتبعة في الدين، والمنهج النبوي الحنيف ".(١٤)

وإذا أطلق لفظ السُّنة في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به الرسول (صلى الله عليه وسلم) ونهى عنه وندب إليه قولاً وفعلاً، ولهذا يقال في أدلة الشرع (الكتاب والسُّنة) أي: القرآن والحديث، ولكن هي السُّنة يختلف في اصطلاح أهل العلم بحسب اختلاف اختصاصاتهم وأغراضهم فهي عند الأصوليين غير ما عند المحدثين والفقهاء، ويظهر مدلول معناها من خلال أبحاثهم.(١٥)

- فعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الإمام الهادي والرائد الناصح، الذي أخبر الله (عز وجل) أنه أسوة لنا وقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل وأخبار وأقوال وأفعال سواء أثبت المنقول حكماً شرعياً أم لا.
- وعلماء الأصول إنما بحثوا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من حيث أنه مُشرع يبين للناس دستور لحياة ويضع القواعد للمجتهدين من بعده، ولذلك اعتنى الأصوليون بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها.
- وعلماء الفقه إنما بحثوا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي تدل أفعاله على حكم شرعي وهم يبحثون عن حكم الشرع في أفعال العباد وجوباً أو حرمة أو إباحة أو غير ذلك.(١٦)

ومما تقدم يتلخص لنا ما يأتي:

١- السنة في اصطلاح المحدثين:

هي كل ما أثر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ خَلْقيةٍ أو خُلُقيةٍ أو سيرةٍ، سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء أو بعدها.

٢- السنة في اصطلاح علماء أصول الفقه:

هي كل ما صدر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) غير القرآن الكريم من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي.

٣- السنة في اصطلاح الفقهاء:

هي كل ما ثبت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب.(١٧)

وقد تطلق السنة عند الفقهاء في مقابلة البدعة، والبدعة: الأمر المستحدث، أي: كل ما أحدثه الناس من قولٍ أو عملٍ في الدين وشعائره مما لم يؤثر عنه (صلى الله عليه وسلم) وعن أصحابه وكان مخالفاً للشرع.(١٨)

قال (صلى الله عليه وسلم) : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد".(١٩)

فأوسع الإطلاقات إطلاق المحدثين الذين يقصدون بالسُّنة كل ما أثر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو سيرةٍ، سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها، وسواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا.(٢٠)

- والقول: هو أحاديثه (صلى الله عليه وسلم) التي قالها في مختلف الأغراض والمناسبات، كقوله (صلى الله عليه وسلم): " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ".(٢١)

وقوله (صلى الله عليه وسلم) : " من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ".[٢٢]

- **وأما الفعل**: فهو ما يصدر عنه (صلى الله عليه وسلم) من تصرفات في حدود التشريع والسلوك كتعليمه لأصحابه (رضي الله عنهم) الصلاة وكيفية أدائها إذا كان يؤمهم في الصلاة وقوله (صلى الله عليه وسلم) وهو على المنبر: " صلوا كما رأيتموني أصلي ".[٢٣]

وكذلك الحج لقيامه عليه (صلى الله عليه وسلم) بالسعي والطواف والوقوف بعرفة، وقوله: " لتأخذوا عني منلسككم ".[٢٤]

- وأما التقرير: فهو أن يُقرَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قولاً أو فعلاً صادراً من أحد أصحابه سواء أكان في حضرته أم لم يكن، ويكون الإقرار بالسكوت عن الفعل أو اظهار الرضا والقبول صراحة، إذ لا يجوز في حقه (صلى الله عليه وسلم) أن يسكت أو يستحسن فعلاً أو قولاً مخالفاً للشرع.[٢٥]

من هنا جاءت أقسام السنة النبوية من جهة ماهيتها وهي:

١- السنة القولية.
٢- السنة الفعلية (العملية).
٣- السنة التقريرية.

- **أما الصفة**: التي ذكرت في تعريفات كثيرة أيضاً فهي إما خَلقية أو خُلقية، فمن صفاته الخَلقية: ما روي عن علي (رضي الله عنه) في وصف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إنه: " لم يكن بالطويل ولا بالقصير، شثن الكفين والقدمين، ضخم الرأس، ضخم الكراديس، طويل المسربة ".[٢٦]

ومن صفاته الخَلقية ما جاء في الحديث الشريف: " كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخّاب ولا فحّاش ولا عيّاب"،[٢٧] وفي الصحيحين عن أنس (رضي الله عنه) قال: " فخدمته (أي النبي عليه الصلاة والسلام) في السفر والحضر، ما قال لشيء صنعته: لِمَ صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيءٍ لَمْ أصنعه لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا ؟ ".[٢٨]

المبحث الثاني: السُّنة من حيث أهميتها وحجيتها

لم يكن للأحكام في عهد الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام مصدر سوى الكتاب والسُّنة، ففي كتاب الله تعالى الأصول العامة للأحكام الشرعية، من دون التعرض إلى تفصيلها جميعها، والتفريع عليها، إلا ما كان منها متفقاً مع الأصول العامة ثابتاً بثبوتها لا يتغير بمرور الزمن ولا يتطور باختلاف الناس في بيئاتهم وأعرافهم، كل هذا حتى يحقق القرآن الكريم النهضة الإنسانية الشاملة، والرقي الاجتماعي والفكري، وينشر العدالة والسعادة في كل زمن، ويبقى صالحاً لكل أمة مهما كانت بيئتها وأعرافها، فتجد فيه ما يكفل حاجتها التشريعية في سبيل النهوض والتقدم، وإلى جانب هذه الأصول في القرآن الكريم نجد العقائد والعبادات، وقصص الأمم الغابرة، والآداب العامة والأخلاق.

وقد جاءت السُّنة في الجملة موافقة للقرآن الكريم، تفسر مبهمه، وتفصل مجمله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامه، وتشرح أحكامه وأهدافه، كما جاءت بأحكام لم ينص عليها القرآن الكريم، تتمشى مع قواعده، وتحقق أهدافه وغاياته، فكانت السُّنة تطبيقاً عملياً لما جاء به القرآن العظيم، تطبيقاً يتخذ مظاهر مختلفة، فحيناً يكون عملاً صادراً عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وحيناً آخر يكون قولاً يقوله في مناسبة، وحيناً ثالثاً يكون تصرفاً أو قولاً من أصحابه (صلى الله عليه وسلم) ، فيرى العمل أو يسمع القول ثم يقر هذا وذاك، فلا يعترض عليه ولا ينكره، بل يسكت عنه أو يستحسنه فيكون هذا منه تقريراً.[٢٩]

وإن السُّنة النبوية أصل من أصول الدين الإسلامي، وهي وحي من الله كالقرآن، ولا فرق بين السُّنة والقرآن، سوى أن القرآن متعبد بلفظه ومعناه من الله، أما السُّنة فمعناها من الله ولفظها من الرسول (صلى الله عليه وسلم) وإنه مأمور بتبليغهما معاً، وإن بعضهما مكمل للآخر، وإن طاعتهما واجبة علينا سواء بسواء.[٣٠]

قال ابن حزم الظاهري: " إن الوحي ينقسم من الله (عز وجل) إلى رسوله (صلى الله عليه وسلم) على قسمين: أحدهما: وحيٌ متلو، مؤلف تأليفاً معجز النظام، وهو القرآن. والثاني: وحيٌ مروي، منقول غير مؤلف ولا معجز النظام، ولا متلو، ولكنه مقروء، وهو الخبر الوارد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو المبين عن الله (عز وجل) مراده منا، قال تعالى: (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ).[٣١] ووجدنا تعالى قد أوجب طاعة هذا القسم الثاني كما أوجب طاعة القسم الأول ولا فرق".[٣٢]

والسّنة هي المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن الكريم، فالقرآن هو الدستور الذي يحوي الأصول والقواعد الأساسية للإسلام: عقائده، وعباداته، وأخلاقه، ومعاملاته، وآدابه، والسُنة هي البيان النظري والتطبيق العملي للقرآن في ذلك كله.

ولهذا يجب إتباعها والعمل بما جاءت به من أحكام وتوجيهات، وطاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيها، كما يطاع فيما بلغه من آيات القرآن، دل على ذلك القرآن الكريم، ودل على ذلك الحديث الشريف - السنة نفسها -، ودل على ذلك إجماع الأمة، ودل على ذلك العقل والنظر.[٣٣]

١- القرآن الكريم:

وردت آيات كثيرة توجب على المسلمين طاعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتجعل طاعته كطاعة الله تعالى وتحذر من مخالفته، ومن هذه الآيات:

- قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً).[٣٤]

والرد إلى الله هو: الرد إلى القرآن، والرد إلى رسوله هو: الرد إلى سنته.

- وقوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ).[٣٥]

- وقوله تعالى: (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ).[٣٦]

- وقوله تعالى: (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ).[٣٧]

- وقوله تعالى: (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ).[٣٨]

- وقوله تعالى: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ).[٣٩]

- وقوله تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).[٤٠]

وثمة آيات كثيرة في الحث على إتباع سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ووجوب لزومها وتحريم مخالفتها.

٢- الحديث النبوي الشريف (السنة النبوية عينُها):

وردت أحاديث كثيرة تدل على إتباع السُنة النبوية، وتؤكد أن السُنة كالقرآن من حيث كونها مصدراً لتشريع الأحكام، ومن هذه الأحاديث:

- عن ابن عباس (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خطب الناس في حجة الوداع فقال: "... أيها الناس إني تركت فيكم شيئين ما إن اعتصمتم بهما لن تضلوا أبداً: كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) ".[٤١]

- وعن المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال: " كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله ؟ قال: فبسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسولَ الله ".[٤٢]

- وعن أنس (رضي الله عنه) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " ... فمن رغب عن سنتي فليس مني ".[٤٣]

- وعن المقدام بن معدي كرب (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انه قال: " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ".[٤٤]

- وعن العرباض بن سارية (رضي الله عنه) **أن رسول الله** (صلى الله عليه وسلم) **قال**: " .... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ".(٤٥)

- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) **أن رسول الله** (صلى الله عليه وسلم) قال: " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، **قالوا**: ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ".(٤٦)

ولم يكتفِ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالحث على التمسك بسنته بل ذمّ من يترك حديثه متذرعاً بالاعتماد على ما جاء في القرآن الكريم فقط.

فعن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) **قال**: " لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه ".(٤٧)

٣- الإجماع:

أجمعت الأمة الإسلامية على العمل بالسُّنة استجابة لله (عز وجل) وللرسول الأمين (صلى الله عليه وسلم) وتقبل المسلمون السُّنة كما تقبلوا القرآن الكريم؛ لأنها مصدر تشريعي بشهادة الله تعالى وقد سبق ذكر الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تؤيد ذلك، وشهد الله تعالى للرسول (صلى الله عليه وسلم) **بأنه** لا يتبع إلا ما يوحى إليه فقال تعالى: **(قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ)**.(٤٨)

وما يوحى إليه فيه هداية المتبعين وصلاحهم وسبيل نجاحهم في الدنيا والآخرة قال تعالى: **(وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَـذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)**.(٤٩) وقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)**.(٥٠)

لكل هذا اعتنى المسلمون بالسُّنة النبوية ونقلها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل، ورجعوا إليها في جميع أمور دينهم، وعملوا بما فيها، وتمسكوا بها، وحافظوا عليها، استجابة لله تعالى وتأسياً برسوله (صلى الله عليه وسلم) .(٥١)

وقد دلت أقوال السلف الصالح على إتباع السنة النبوية، منها:

- **عن الأوزاعي قال**: قال أيوب السختياني: " إذا حدث الرجل بالسُّنة فقال دعنا من هذا وحدثنا عن القرآن فاعلم أنه ضال مضل ".(٥٢)

- وعن أيوب السختياني: أن رجلاً قال لمطرف بن عبد الله بن الشخير: لا تحدثونا إلا بما في القرآن، فقال له مطرف: " إنا والله ما نريد بالقرآن بديلاً ولكنا نريد من هو أعلم بالقرآن منا".(٥٣)

- وقال الأوزاعي ومكحول وابن أبي كثير وغيرهم: " القرآن أحوج إلى السُّنة من السُّنة إلى القرآن، والسنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب قاضياً على السنة ".(٥٤)

- ويقول الجنيد البغدادي: " الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واتبع سنته ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه ".(٥٥)

٤- المعقول:

لما ثبت الدليل القاطع – المنقول – أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) هو رسول الله اقتضى برسالته لزوم طاعته، وإلا فلا يكون للإيمان به معنى فهو المبلغ عن ربه تعاليم الشريعة، وهو صادق بكل ما يبلغنا به، وأنه معصوم من الزلل.(٥٦)

وقد قرن الله تعالى الإيمان برسوله (صلى الله عليه وسلم) مع الإيمان به فقال (سبحانه وتعالى): **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)**.(٥٧)

قال الإمام الشافعي: " وضع الله رسوله من دينه وأبان جل ثناؤه أنه جعله علماً لدينه، بما افترض من طاعته وحرم من معصيته، وأبان من فضيلته بما قرن من الإيمان برسوله مع الإيمان به، فجعل

كمال ابتداء الإيمان الذي ما سواه تبع له الإيمان بالله ورسوله، فلو آمن عبد به ولم يؤمن برسوله لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبداً حتى يؤمن برسوله معه ففرض على الناس إتباع وحيه وسنن رسوله وهكذا سن رسوله في كل من امتحنه للإيمان ".[٥٨]

فإن مقتضى إرسال الله تعالى للنبي (صلى الله عليه وسلم) الإيمان به والتصديق برسالته ومن ثم طاعته طاعة مطلقة، لأن من التناقض وغير المقبول في العقل السليم أن يؤمن الإنسان بمحمد (صلى الله عليه وسلم) ثم ينازعه في بعض ما جاء به، أو لا يرضى بما جاء به، أو يتعب نفسه متعقباً لبعض ما جاء به، أو يتمرد على بعض ما جاء به إلى غير ذلك مما لا يتفق أبداً ومقتضى الإيمان به.[٥٩]

ولو لم تكن السُّنة حجة على المسلمين لما استطعنا تنفيذ أحكام القرآن لأن السُّنة بيان للقران فكل من له عقل سليم يرى وجوب إتباع سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإلا لانتفت الفائدة من هديه، ولكان وجوده بين أمته وهو يعلمهم أمور دينهم لا جدوى منه، وأنه أمر زائد، وهذا ما لا يقر به صاحب عقل، لذا فكل من أنكر كون السُّنة الصحيحة أصلاً من أصول الدين الإسلامي لا حظ ولا خَلاق له في شرع الله؛ لأنه قد خالف ما علم من الدين بالضرورة وما أجمع عليه المسلمون من لدن الصحابة (رضي الله عنهم) إلى يومنا هذا.[٦٠]

وقد حذر القرآن الكريم من مخالفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعد مخالفته سبباً لنيل عقاب الله وسخطه، قال تعالى: **(وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً)**.[٦١]

المبحث الثالث: حقيقة السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي

لا تخفى مكانة السّنة النبوية من التشريع الإسلامي وأثرها في الفقه الإسلامي منذ عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) والصحابة (رضي الله عنهم) حتى عصور أئمة الاجتهاد واستقرار المذاهب الاجتهادية، مما جعل الفقه الإسلامي ثروة تشريعية لا مثيل لها في الثروات التشريعية لدى الأمم جميعها في الماضي والحاضر، ومن يطلع على القرآن والسُّنة يجد أن للسُّنة الأثر الأكبر في اتساع دائرة التشريع الإسلامي وعظمته وخلوده مما لا ينكره كل عالم بالفقه ومذاهبه.[٦٢]

ويمكن القول أن جميع فقهاء المسلمين من مختلف المدارس وشتى الأمصار ممن له مذهب باق أو منقرض ، متبوع أو غير متبوع، كانوا يرون الأخذ بالسُّنة، والاحتكام عليها، والرجوع إلى حكمها إذا تبينت لهم، جزء من دين الله ولا يسعهم الخلاف عن أمره، يستوي في ذلك المنتمي إلى مدرسة الرأي والمنتمي إلى مدرسة الحديث.

وبناء على هذا الأساس المتفق عليه، لا يتصور أن يكون هناك مذهب فقهي، أو إمام مجتهد، يتعمد في فقهه ترك حديث صحيح الثبوت، صريح الدلالة على الحكم، لا معارض له، والمراد صحته عنده هو، وصراحة الدلالة على الحكم عنده هو لا عند غيره.[٦٣]

قال الشوكاني: " إن ثبوت حجية السُّنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام ".[٦٤]

وقال أيضاً: " اتفق من يعتد به من أهل العلم: على أن السُّنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام ".[٦٥]

وأحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) وأفعاله وتقريراته وصفاته تمثل في مجموعها السّنة النبوية الشريفة ، وهي مصدر أساس في التشريع بعد القرآن الكريم؛ لأنها وحي عبرت عنها آيات القرآن الكريم كقوله تعالى: **(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)**.[٦٦] وقوله تعالى: **(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)**.[٦٧] وقوله تعالى: **(مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)**.[٦٨] وقوله تعالى: **(وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)**.[٦٩]

وقد كثرت آيات القرآن في وجوب طاعة الرسول مقترنة بطاعة الله "وقد لاحظ العلماء أنه ما جاء أمر في طاعة الله في كتابه الكريم إلا قرن الله معه الأمر بطاعة رسوله، وشركه: إما بواو العطف

أو بواو العطف مع إعادة الأمر بالطاعة، وكذلك ما ورد في القرآن الكريم تحذير أو تخويف من معصية الله إلا عطف الله رسوله في هذا التحذير أو التخويف ".[٧٠]

والسُّنة مصدر للفقه والتشريع، وهي مصدر للدعوة والتوجيه، وهي كذلك مصدر للمعرفة لدى المسلم: المعرفة الدينية، وكذلك المعرفة الإنسانية، والاجتماعية، التي يحتاج إليها الناس، لتسدد طريقهم، أو تصحح خطأهم، أو تكمل ما عندهم من علم كسبي.

ففي السنة – كما في القرآن – أخبار عن حقائق تتعلق بعالم الغيب، العالم غير المنظور لنا، والذي لا تدركه حواسنا مما لا يعرف إلا بالوحي الإلهي.

وفي السُّنة أيضاً أخبار عن وقائع ماضية عن بدء الخلق، وعن الرسل والأنبياء (عليهم السلام)، مما لا يدخل في دائرة التاريخ العادي وأدواته، ولا يعرف إلا عن طريق الوحي.

وفي السُّنة كذلك أخبار عن أحداث تتعلق بالمستقبل مما يقع قبل القيامة، وهو ما يعرف لدى المسلمين بـ (أشراط الساعة) وما يقع بعد القيامة من البعث والحشر وأهوال الموقف والشفاعة والميزان والحساب والجنة والنار مما هو ثابت بالقرآن، وقد فصلته السنة.[٧١]

من هنا كانت العناية بالسُّنة النبوية ضرورة من ضرورات الدين، ولازمة من لوازمه، وكان الاسترشاد بأحكامها في كثير من الأمور التي أجملها القرآن الكريم من العوامل المساعدة في تفسير آيات هذا الكتاب المجيد، ولذلك حرص علماء الإسلام على جمع السُّنة النبوية وتمحيصها تمحيصاً دقيقاً وتبويبها، وشرحها وعملوا على صيانتها وحفظها بمختلف وسائل الحفظ كمصدر مهم من مصادر هذا الدين العظيم.[٧٢]

وهي ترتبط بالقرآن الكريم وتلتزم به التزاماً تاماً ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

١- إنها تفصل مجمل القرآن: مثل تفصيل الأمر المجمل في إقامة الصلاة، قال تعالى: **(وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ)**.[٧٣] فقد فصلت عدد الصلوات وأوقاتها وهيآتها وأركانها ومبطلاتها وأيضا فصلت نصاب الزكاة وشروط أدائها والمقدار الواجب فيها.

٢- إنها خصصت العام في القرآن مثل تخصيص أمر القتل والقصاص في الآيات الكريمة: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى)**.[٧٤] وقوله تعالى: **(وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ)**.[٧٥] فخصصت السُّنة القتل بشرط الإسلام ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " لا يقتل مؤمن بكافر".[٧٦]

٣- إنها قيدت المطلق، مثل تقييد الأمر المطلق في طلاق المرأة التي يطلقها زوجها ثلاثا **(فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَى تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ)**.[٧٧] بأن النكاح ليس المراد منه العقد فقط بل العقد والنكاح.

٤- إنها بسطت المختصر: ومثال ذلك بسط السنة لقصة الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج من غزوة مؤتة، فالآية أوجزت ذلك: **(وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ)**.[٧٨] والسنة النبوية الشريفة بسطت ذلك.

٥- إنها أثبتت أحكاماً لم ينص عليها القرآن: مثل النهي عن الجمع بين المراة وعمتها، أو بين المرأة وخالتها في النكاح، وتخصيص ميراث الجدة بالسدس،[٧٩] وعقوبة شرب الخمر، ورجم الزاني المحصن.[٨٠] وكذلك تحريم لحوم الحمر الأهلية، وتحريم كل ذي ناب من السباع، وذي مخلب من الطير – الطيور الجارحة - والحكم بشاهد واحد، ويمين المدعي ونحو ذلك، ولا خلاف بين أهل العلم في وجوب قبول هذه الأحكام ولزوم العمل بها ولا يجوز رد هذه الأحكام بحجة أنها لم ترد في القرآن الكريم.[٨١]

فلو أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يكن له الحق بأن يأتي بحكم جديد واقتصر على ما ورد بنص القرآن الكريم لما كان هنالك من واجب لأن يحتم الله تعالى على المسلمين طاعة رسوله، فيما يأمرهم أو ينهاهم وأن يعدها كلزوم طاعتهم له جل شأنه بل كان يقصر الطاعة عليه وحده.[٨٢]

هذه صورة موجزة لارتباط السُّنة بالقرآن الكريم، فالقرآن والسُّنة مصدران تشريعيان متلازمان لا يمكن لمسلم أن يفهم الشريعة إلا بالرجوع إليهما معاً، ولا غنى لمجتهدٍ أو عالمٍ عن أحدهما.[٨٣]

فالعلاقة بينهما – أي القرآن والسُنة – علاقة التبيين بالمبيَّن، والتفسير بالمفسَّر، والقرآن لا يستغني عنها لأنها بيانه.(٨٤)

وهكذا فالسنة من حيث الأحكام التي جاءت بها على أربع حالات:

الحالة الأولى: أن تكون موافقة لما جاء في الكتاب ومطابقة لما دل عليه من الأحكام، وهذه الأحكام التي جاءت بها السُنة تعد مؤكدة للكتاب ومقررة له، فيكون الحكم مستمداً من مصدرين اثنين هما: الكتاب والسُنة، وهذا ما نلاحظه في العديد من نصوص الكتاب والسُنة المتعلقة بالجهاد والوفاء بالعهود وتحريم أكل الأموال بالباطل وقتل النفس وعقوق الوالدين والنصوص المتعلقة بالعبادات.

الحالة الثانية: أن تكون شارحة للكتاب ومبينة لما جاء فيه، كأن تكون السُنة مفسرة لنصوص الكتاب المجملة وموضحة لما فيه من الألفاظ المشكلة، كتحديد وتفصيل مواقيت الصلاة وعدد ركعاتها وواجباتها ومفسداتها ومقدار الزكاة وأنصبتها وتفصيل مناسك الحج.

ومن الأمثلة على هذه الحالة أيضاً: أن تكون السُنة مخصصة لعام الكتاب، فالله تعالى أمر أن يرث الأولاد والآباء والأمهات، إذ قال الله تعالى: **(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ)**.(٨٥) ولفظ الأولاد يعمّ القاتل وغير القاتل، فخصصت السُنة هذا العموم فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم): " لا يرث القاتل ".(٨٦)

الحالة الثالثة: أن تكون السُنة مستقلة بإثبات حكم جديد، ومن الأمثلة على هذا كثيرة، كتحريم السُنة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، (مع أن آية المحرمات لم تذكر إلا تحريم الجمع بين الأختين) وإعطاء الجدة السدس ميراثاً، وثبوت رجم الزاني المحصن.

الحالة الرابعة: أن تكون ناسخة لحكم ثبت في الكتاب،(٨٧) فالوصية للوارث الواردة في قوله تعالى: **(كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرَاً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقَّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ)**.(٨٨) ، نسخت بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " لا وصية لوارث ".(٨٩)

والقرآن والسُنة مصدرهما واحد هو الوحي عن الله تعالى، فهما شيء واحد يعملان معاً في تنسيق كامل وأن القرآن والسُنة لهما مقاصد واحدة في جملتها وهي متسقة بين الآيات والأحاديث بحيث نجد أحكاماً شاء الله أن تكون في القرآن وأحكاماً شاء الله أن تكون في السُنة ليظل الناس في حاجة إلى القرآن والسنة معاً في كل زمان ومكان.(٩٠)

فقد روى أبو داود بسنده عن المقداد بن معد يكرب (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه...".(٩١)

وروى الخطيب بسنده عن حسان بن عطية قال: " كان جبريل ينزل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالقرآن والسنة التي تفسر القرآن ".(٩٢)

يقول ابن قيم الجوزية في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)**.(٩٣) " أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالاً، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول إيذاناً بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولاطاعة ".(٩٤)

الفصل الثاني

دور السنة في الدعوة والتوجيه

المبحث الأول: واجب المسلمين تجاه السنة

السُنة هي المنهج التفصيلي لحياة الفرد المسلم، والمجتمع المسلم، وهي تمثل القرآن مفسراً، والإسلام مجسداً، فقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو المُبَيِّن للقرآن، والمجسد للإسلام، بقوله

وعمله، وسيرته كلها، في الخلوة والجلوة، والحضر والسفر، واليقظة والنوم، والحياة الخاصة والعامة، والعلاقة مع الله ومع الناس، ومع الأقارب والأباعد، والأولياء والأعداء، في السلم وفي الحرب، وفي العافية والبلاء.

ومن واجب المسلمين أن يعرفوا هذا المنهج النبوي المفصل، بما فيه من خصائص الشمول، والتكامل والتوازن والتيسير، وما يتجلى فيه من معاني الربانية الراسخة، والإنسانية الفارعة والأخلاقية الأصيلة، وهنا يوجب عليهم أن يعرفوا كيف يحسنون فهم هذه السُّنة الشريفة، وكيف يتعاملون معها فقهاً وسلوكاً، كما تعامل معها خير أجيال هذه الأمة: **الصحابة ومن اتبعهم** بإحسان.

إن أزمة المسلمين الأولى في هذا العصر هي أزمة فكر، تسبق أزمة الضمير، وأوضح ما تتمثل فيه أزمة الفكر هي أزمة فهم السُّنة والتعامل معها، ولاسيما من بعض تيارات الصحوة الإسلامية، التي ترنو إليها الأبصار وتناط بها الآمال، وتشرئب إليها أعناق الأمة في المشارق والمغارب، فكثيراً ما أتى هؤلاء من جهة سوء فهمهم للسنة المطهرة.[٩٥]

وقد روي عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ما يشير إلى ما يعرض له علم النبوة وميراث الرسالة على أيدي الغلاة، والمبطلين، والجهال، وذلك فيما رواه ابن جرير وتمام وابن عدي وغيرهم عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين".[٩٦]

إنها معاول ثلاث، كل واحد منها يمثل خطراً على الميراث النبوي:

١- تحريف أهل الغلو:

فثمة التحريف الذي يأتي عن طريق الغلو والتنطع، والتنكب عن (الوسطية) التي تميز بها هذا الدين، وعن (**السماحة**) التي وصفت بها هذه الملة الحنفية، وعن (اليسر) الذي اتسمت به التكاليف في هذه الشريعة.

إنه الغلو الذي هلك به من قبلنا من أهل الكتاب، ممن غلا في العقيدة، أو غلا في العبادة، أو غلا في السلوك، وقد سجل القرآن عليهم ذلك حين قال: **(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ)**.[٩٧]

ولهذا روى ابن عباس (رضي الله عنه) **عن النبي** (صلى الله عليه وسلم) : " إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلوّ في الدين".[٩٨]

وروى ابن مسعود (رضي الله عنه) عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: " هلك **المتنطعون** " قالها ثلاثاً.[٩٩]

٢- انتحال أهل الباطل:

وثمة (الانتحال) الذي يحاول به أهل الباطل أن يُدخلوا على هذا المنهج النبوي ما ليس منه، وأن يلصقوا به من المحدثات والمبتدعات ما تأباه طبيعته، وترفضه عقيدته وشريعته، **وتفر منه** أصوله وفروعه.

ولما عجزوا عن إضافة شيء إلى القرآن المحفوظ في الصدور، المسطور في المصاحف، المتلو بالألسنة، حسبوا أن طريقهم إلى الانتحال في السُّنة ممهد، وأن بإمكانهم أن يقولوا: **قال رسول الله** (صلى الله عليه وسلم) دون بينة.

ولكن جهابذة الأمة، وحفظة السُّنة، قعدوا لهم كل مرصد، وسدّوا عليهم كل منافذ الانتحال، فلم يقبلوا حديثاً بغير سند، ولم يقبلوا سنداً دون أن يبيّنوا رُوَاته واحداً واحداً، حتى تعرف عينه، ويعرف حاله، من مولده إلى وفاته، ومن أي حلقة هو؟ ومن شيوخه؟ ومن رفاقه؟ ومن تلاميذه؟ وما مدى أمانته وتقواه، ومدى حفظه وضبطه، ومدى موافقته للثقات المشاهير أو انفراده بالغرائب؟، ولهذا قالوا الإسناد من الدين.

ولم يقبلوا من الحديث إلا ما كان متصل السند من مبدئه إلى منتهاه بالثقات من الرواة العدول الضابطين، من غير فجوة ظاهرة أو خفية ومع ضرورة السلامة من كل شذوذ أو علة

قادحة، وهذا التدقيق في طلب الإسناد بشروطه وقيوده من خصائص الأمة الإسلامية، ومما سبقوا به أمم الحضارة المعاصرة في وضع أسس المنهج العلمي التاريخي.[١٠٠]

٣- تأويل أهل الجهل:

وثمة (سوء التأويل) الذي به تشوه حقيقة الإسلام، ويحرف فيه الكلم عن مواضعه، وتنتقص فيه أطراف الإسلام، فيخرج من أحكامه وتعاليمه ما هو من صلبه، كما حاول أهل الباطل أن يدخلوا فيه ما ليس منه، أو يؤخروا ما حقه أن يقدم، أو يقدموا ما حقه أن يؤخر.

وهذا التأويل السيء، والفهم الرديء، من شأن الجاهلين بهذا الدين، الذين لم يشربوا روحه، ولم ينفذوا ببصائرهم إلى حقائقه، فليس لهم من الرسوخ في العلم، ولا من التجرد للحق، ما يعصمهم من الزيغ والانحراف في الفهم، والإعراض عن المحكمات، وإتباع المتشابهات، ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويلها، تبعاً للهوى المضل عن سبيل الله، إنه (تأويل الجاهلين) وإن لبسوا لبوس العلماء، وتظاهروا بألقاب الحكماء، وهذا ما يجب التنبه له، والتحذير منه، ووضع الضوابط الضرورية للوقاية من الوقوع فيه.[١٠١]

ومعظم الفرق الهالكة، والطوائف المنشقة عن الأمة، وعن عقيدتها، وشريعتها، والفئات الضالة عن سواء الصراط، إنما أهلكها سوء التأويل، وللإمام ابن القيم هنا كلمة مضيئة في ضرورة حسن الفهم عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ذكرها في كتاب (الروح) ننقلها عنه، قال: " ينبغي أن يفهم عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد، فيتفق سوء الفهم في بعض الأشياء من المتبوع مع حسن قصده، وسوء القصد من التابع، فيا محنة الدين وأهله والله المستعان، وهل أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية وسائر الطوائف أهل البدع إلا سوء الفهم عن الله ورسوله حتى صار الدين بأيدي أكثر الناس، هو موجب هذه الإفهام، والذي فهمه الصحابة (رضي الله عنهم) ومن تبعهم عن الله ورسوله فمهجور لا يلتفت إليه، ولا يرفع هؤلاء به رأساً، حتى إنك لتمر على الكتاب من أوله إلى آخره، فلا تجد صاحبه فهم عن الله ورسوله مراده كما ينبغي في موضع واحد، وهذا إنما يعرفه من عرف ما عند الناس وعرضه على ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وأما من عكس الأمر، فعرض ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) على ما اعتقده وانتحله، وقلد فيه من أحسن به الظن فليس يجدي الكلام معه شيئاً فدعه، وما اختاره لنفسه وولّه ما تولى، واحمد الذي عافاك مما ابتلاه ".[١٠٢]

المبحث الثاني: مبادئ أساسية لتطبيق السنة

ينبغي لمن يطبق السُّنة النبوية، ولكي ينفي عنها انتحال المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين أن يتشبث بعدة أمور، تعدّ مبادئ أساسية في هذا المجال:

أولاً: أن يستوثق من ثبوت السُّنة وصحتها حسب الموازين العلمية الدقيقة التي وضعها الأئمة الأثبات، والتي تشمل السند والمتن جميعاً سواء كانت السنة قولاً أم فعلاً أم تقريراً.

ولا يستغني باحث هنا عن الرجوع إلى أهل الذكر والخبرة في هذا الشأن، وهم صيارفة الحديث الذين أفنوا في طلبه ودراسته وتمييز صحيحه من سقيمه، ومقبوله من مردوده، **(وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)**.[١٠٣]

وقد أسس القوم للحديث علماً ثابت الجذور باسق الفروع، هو للحديث بمنزلة علم أصول الفقه للفقه، ألا وهو علم مصطلح الحديث.

ثانياً: أن يحسن فهم النص النبوي، على وفق دلالات اللغة، وفي ضوء سياق الحديث، وسبب وروده، وفي ظلال النصوص القرآنية والنبوية الأخرى، وفي إطار المبادئ العامة والمقاصد الكلية للإسلام.

ثالثاً: أن يتأكد من سلامة النص من معارض أقوى منه، من القرآن أو أحاديث أخرى أوفر عدداً، أو أصح ثبوتاً، أو أوفق بالأصول وأليق بحكمة التشريع، أو من المقاصد العامة للشريعة، التي اكتسبت صفة القطعية، لأنها لم تأخذ من نص واحد أو نصين بل أخذت من مجموعة من النصوص والأحكام الجزئية – بانضمام بعضها إلى بعض – يقيناً وجزماً بثبوتها.(١٠٤)

إن السّنة النبوية هي المصدر الثاني للإسلام، في تشريعه وتوجيهه، يرجع إليها الفقيه لاستنباط الأحكام، كما يرجع إليها الداعية والمربي، ليستخرجا منها المعاني الملهمة، والقيم الموجهة والحكم البالغة، والأساليب المرغبة في الخير، المرهبة عن الشر.

ولا بد للسنة لكي تقوم بهذه المهمة أن يترجح لدينا ثبوتها عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وهذا يترجم في علم الحديث بأن يكون الحديث الذي يستشهد به صحيحاً أو حسناً، والصحيح يشبه مرتبة الممتاز أو الجيد جداً في التقدير الجامعي، والحسن يشبه مرتبة الجيد أو المقبول، ولهذا كان أعلى الحسن قريباً من الصحيح، كما أن أدناه قريب من الضعيف.

وعلماء الأمة متفقون على هذا الشرط في الأحاديث التي يحتج بها في الأحكام الشرعية العملية، التي هي عماد علم الفقه، وأساس الحلال والحرام، ولكنهم مختلفون في الأحاديث التي تتعلق بفضائل الأعمال والأذكار والرقائق والترغيب والترهيب، ونحوها، ومما لا يدخل في باب التشريع الصريح، فمن علماء السلف من تساهل في روايته، ولم يرَ في إخراجه بأساً.

وهذا التساهل ليس على إطلاقه، فله مجاله، وله شروطه، ولكن الكثيرين أساءوا استخدامه، فشردوا به عن سواء السبيل، ولوثوا به نبع الإسلام المصفى، وكتب المواعظ والرقائق والتصوف حافلة بهذا النوع من الأحاديث، وكذلك كثير من كتب التفسير، حتى إن منها من التزم إخراج الحديث الموضوع الشهير في فضل سور القرآن، وقد كشف الأئمة الحفاظ عوارضه، وبينوا بطلانه، ولم يعد هناك عذر لمن يرويه، ويسود به صفحات كتابه.(١٠٥)

ومن اللازم لفهم السّنة فهماً صحيحاً أن تجمع الأحاديث الصحيحة في الموضوع الواحد، بحيث يرد متشابهها إلى محكمها، ويحمل مطلقها على مقيدها، ويفسر عامها بخاصها، وبذلك يتضح المعنى المراد منها، ولا يضرب بعضها ببعض، وإذا كان من المقرر أن السُّنة تفسر القرآن الكريم، وتبينه، بمعنى أنها تفصل مجمله، وتفسر مبهمه، وتخصص عمومه، وتقيد إطلاقه، فأولى ثم أولى أن يراعى ذلك في السنة بعضها مع بعض.(١٠٦)

ومن حسن الفقه للسنة النبوية النظر فيما بني من الأحاديث على أسباب خاصة أو ارتبط بعلة معينة، منصوص عليها في الحديث أو مستنبطة منه، أو مفهومة من الواقع الذي سيق فيه الحديث، فالناظر المتعمق يجد أن من الحديث ما بني على رعاية ظروف زمنية خاصة ليحقق مصلحة معتبرة، أو يدرأ مفسدة معينة، أو يعالج مشكلة قائمة، في ذلك الوقت.

ومعنى هذا أن الحكم الذي يحمله الحديث قد يبدو عاماً ودائماً، ولكنه عند التأمل يظهر أنه مبني على علّة يزول بزوالها، كما يبقى ببقائها، وهذا يحتاج إلى فقه عميق، ونظر دقيق، ودراسة مستوعبة للنصوص، وإدراك بصير لمقاصد الشريعة، وحقيقة الدين.

ولابد لفهم الحديث فهماً سليماً دقيقاً، من معرفة الملابسات التي سيق فيها النص، وجاء بياناً لها وعلاجاً لظروفها، حتى يتحدد المراد من الحديث بدقة ولا يتعرض لشطحات الظنون، أو الجري وراء ظاهر غير مقصود.

ومما لا يخفى أن العلماء قد ذكروا أن مما يعين على حسن فهم القرآن معرفة أسباب نزوله، حتى لا يقع فيما وقع فيه بعض الغلاة من الخوارج وغيرهم، ممن أخذوا الآيات التي نزلت في المشركين، وطبقوها على المسلمين، ولهذا كان ابن عمر – رضي الله عنهما- يراهم شرار الخلق، بما حرفوا كتاب الله عما أنزل فيه، فإذا كانت أسباب نزول القرآن مطلوبة لمن يفهمه أو يفسره، كانت

أسباب ورود الحديث أشد طلباً، ذلك أن القرآن بطبيعته عام وخالد، وليس من شأنه أن يعرض للجزئيات والتفصيلات والآنيات، إلا لتؤخذ منها المبادئ والعبر.

أما السُّنة فهي تعالج كثيراً من المشكلات الموضعية والجزئية والآنية، وفيها من الخصوص والتفاصيل ما ليس في القرآن، فلا بد من التفرقة بين ما هو خاص وما هو عام، وما هو مؤقت وما هو خالد، وما هو جزئي وما هو كلي، فلكل منها حكمه، والنظر إلى السياق والملابسات والأسباب التي تساعد على سداد الفهم واستقامته لمن وفقه الله.(١٠٧)

ومن أسباب الخلط والزلل في فهم السُّنة: أن معظم الناس خلطوا بين المقاصد والأهداف الثابتة التي تسعى السُّنة إلى تحقيقها، وبين الوسائل الآنية والبيئية التي تعينها أحياناً للوصول إلى الهدف المنشود، فتراهم يركزون كل التركيز على هذه الوسائل، كأنها مقصود لذاتها، مع أن الذي يتعمق في فهم السُّنة وأسرارها يتبين له أن المهم هو الهدف، وهو الثابت والدائم، والوسائل قد تتغير بتغير البيئة أو العصر أو العرف أو غير ذلك من المؤثرات.(١٠٨)

ومن المهم جداً لفهم السُّنة فهماً صحيحاً التأكد من مدلولات الألفاظ التي جاءت بها السُّنة، فإن الألفاظ تتغير دلالتها من عصر لآخر ومن بيئة لأخرى، وهذا أمر معروف لدى الدارسين لتطور اللغات وألفاظها وأثر الزمان والمكان فيها، فقد يصطلح الناس على ألفاظ للدلالة على معانٍ معينة، ولا مشاحة في الاصطلاح، ولكن الخوف هنا هو حمل ما جاء في السنة من ألفاظ (ومثل ذلك القرآن) على المصطلح الحادث، وهنا يحدث الخلل والزلل، ومن لم يراعِ هذا الضابط يقع في أخطاء كثيرة، كما نرى في عصرنا.(١٠٩)

المبحث الثالث: السنة ومنزلتها في مجال الدعوة والتوجيه

جاء الإسلام ليكون الرسالة الخاتمة، وهو بمثابة دعوة وتوجيه، فكان الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) النبي المرسل، والمربي القدوة، والداعية المجاهد، والمبلغ عن ربه، فاستطاع أن يربي جيلاً مؤمناً مسلماً، هو خير من عرفت البشرية إيماناً وأخلاقاً وسلوكاً وتقوى، والتزاماً بالحق، وطاعة لله (عز وجل) وأداء للواجب، وكانت المدرسة الأولى في دار الأرقم ابن أبي الأرقم في مكة، ثم في مسجده (صلى الله عليه وسلم) في المدينة، وكان كتاب الله (عز وجل) وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) هي المنهج والنبع الذي يستقون منه حتى قامت الدولة، ونشأت الحضارة الراقية التي استفاد منها العالم جميعاً.(١١٠)

لقد استطاعت مدرسة النبوة أن تحقق هدفها المنشود بإنشاء جيل رباني تحررت شخصيات أفراده من الشهوات الأسرة والمطامع الطاغية، فانطلقت بكل مواهبها وطاقاتها لرفع رايات الإسلام في كل مكان معلنة ضرورة تحرير الإنسان من قيود النفس والشيطان والدنيا، وذلك لإحلال السلام والسعادة للفرد والمجتمع محققة دور الريادة في السلم الحضاري.

والمسلمون يدركون روعة مدرسة النبوة، عندما رأوها حققت كل ذلك بإمكانيات محدودة بسيطة وظروف صعبة تتمثل في الأمة الأمية، والبيئة الفقيرة، والأمن المعدوم، الأمر الذي جعل سر نجاحها لغزاً محيراً أمام أصحاب العقول المادية، ووعداً صادقاً أمام أصحاب القلوب المؤمنة.(١١١)

إن مدرسة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانت جامعة للناس من جميع البلدان، وكانت عامة للأمم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وطبقاتهم في الثقافة والمجتمع، لم يكن ثمة قيد يمنع أي إنسان من الالتحاق بها، وإنها مأدبة كريمة يدعو العالمين إليها، قال تعالى مخاطباً نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) : (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**).(١١٢) هذا إعلان فريد من نوعه جاء في كتاب خالد قدر الله (سبحانه وتعالى) له أن يتلى في كل مكان وزمان ويبلغ عدد قرائه ملايين الملايين من البشر قال عنه (سبحانه وتعالى): (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**).(١١٣) فإن الله (سبحانه وتعالى) لم يقل إننا أرسلناك رحمة لجزيرة العرب، أو للشرق أو للغرب، بل إنه قال : (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**).(١١٤)

فالرسول (صلى الله عليه وسلم) أتحف الإنسانية بما وضع من أسس الدعوة وقواعد التوجيه وقيم الأمة التي كان لها الدور الأكبر في توجيه النوع البشري، وإصلاحه وإرشاده، ونهضته

وازدهاره، والتي خلقت عالماً مشرقاً جديداً لا يشبه العالم القديم في شيء، وذلك عن طريق تربيته للبشرية جميعاً، وإن المتأمل في هدي الرسول (صلى الله عليه وسلم) يرى بكل وضوح أن نظريات التربية الحديثة التي نرددها في دور العلم وننسبها إلى الغرب قد مارسها الرسول فعلاً وتوخاها في دروسه فهو بحق المعلم الأول.(١١٥)

فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) معلماً، اختاره الله تعالى لتعليم البشرية دين الله وشريعته الخاتمة والخالدة، وليس في الدنيا أغلى على الله من (دين الله تعالى)، فاختار الله (سبحانه وتعالى) لنشره وتعليمه سيدنا محمداً (صلى الله عليه وسلم)، وكان هذا المعلم المصطفى من الله تعالى لتبليغ شريعته للناس معلماً بمظهره ومَخبَره، وحاله ومقاله، وجميع أحواله، فتكامل شخصيته الشريفة أسلوب معلم للمتعلمين أن يكونوا كمثاله الشريفة وهديه المنيف.

ومن أهم صفات المعلم أن يكون في ذاته متكامل المحاسن عقلاً وفضلاً، وعلماً وحكمة، ومنظراً ورواء، ولباقة ولياقة، وحركة وسكوناً، وطيب حديث، وذكاء رائحة، ونظافة ثياب، وجمال طلعة، وحسن منطق، وتصرف وإرادة، وقد كان كل هذا في ذات الرسول (صلى الله عليه وسلم) على أتم وجه وأعلى حسن واكتمال فهو معلم بذاته الشريفة الأنموذجية لكل متعلم ومسترشد، فهو (صلى الله عليه وسلم) تتمثل فيه غاية التعليم بأساليبه المختلفة.(١١٦)

لقد حدد القرآن الكريم الهدف من رسالة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) بقوله سبحانه : **(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)**.(١١٧) وهي رسالة دعوة وتوجيه تستهدف نقل الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ، والتزكية في الآية هي تطوير الأرواح، وتنقية الضمائر، وإعلاء السلوك وتلك هي التربية، والتعليم في الآية: هو تلقين المعرفة والحكمة وبثها في الأرواح والضمائر لتحدثا التغيير الهائل في الأنفس والأرواح، ومن ثم فالتعليم سبيل التربية، والتربية ثمرة التعليم، ولقد أكد الرسول الكريم هذا المعنى حين خرج من حجره ذات يوم فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين أحداهما يقرءون القرآن ويدعون الله، والأخرى يتعلمون ويعلمون، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): " كلٌ على خير، هؤلاء يقرؤون القرآن ويدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون وإنما بعثت معلماً فجلس معهم".(١١٨)

وحقاً لقد عاش (صلى الله عليه وسلم) داعية وعاش أصحابه من حوله كذلك، وكانت الإنسانية كلها في هذا الوقت تائهة في مغارق الحياة غارقة في بحار الجهل، وعرف (صلى الله عليه وسلم) كيف يقدم لمدرسة الحياة الجاهلة مادة خصبة من التربية العلمية والخلقية ملأت قلوب الناس بالعلم والنور والمعرفة، وسمت بأرواحهم إلى مستوى المثالية الصالحة والعقيدة السليمة، وجندت قواهم لمناصرة الفضيلة، ومدافعة الرذيلة والجهاد في سبيل الحق والكفاح من أجل حياة كريمة.(١١٩)

وقد أخلص (صلى الله عليه وسلم) لهذه الرسالة وبذل أقصى الجهد لينجح فيها، والذين يتابعونه في هديه يجدون أنفسهم أمام معين لا ينضب من الوسائل الناجحة والمحاولات الذكية لإيصال المعاني إلى الأذهان وتأصيلها في النفوس، وقد التزم كمعلم أن يتعهد شخصه بالصقل الدائم والتهذيب المستمر، والتسامي في الجلال كل لحظة، وظهر أمام تلاميذه رائعاً شكلاً وموضوعاً ، فكانت روحه المشعة عامل جذب لأصحابه ورواده، وكانت سماحة نفسه واحة ظليلة يلتقي الناس في ظلها وعطرها فيجدون الأمن والسكينة، وهكذا من أين ما جئنا وجدنا أناقة الخلق وأناقة المظهر.

فكان (صلى الله عليه وسلم) يتهيأ للدرس بما يلزمه من تجرد وتفانٍ وإخلاص ورحابة صدر وسعه صبر، كان يسأل عن تلاميذه إذ غابوا ومرضوا، ويعطيهم إن احتاجوا، وينـاديهم بأحب الأسماء إليهم، ويسوي بينهم في العطف، ويداعبهم مداعبات لطيفة، ولا يستأثر بشيء من دونهم، ويكره أن يقبلوا يده أو يقفوا له، وكان يسأل عنهم بنفسه.(١٢٠)

والرسول (صلى الله عليه وسلم) أُتي جوامع الكلم، فكلامه (صلى الله عليه وسلم) قليل في مبناه كثيره في معناه، يقول (الجاحظ) في وصف كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) : " هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثرت معانيه وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف".(١٢١)

وحياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ما هي إلا صورة تطبيقية لمبادئ الإسلام ومثله وسلوكياته وأحكامه، وعلى كل مسلم يطمح إلى الفضائل ومعالي الأمور والمبادئ النبيلة وسمو الأخلاق، أن يأخذ من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى كل مربٍ وداعية يسلك منهجه وأسلوبه العظيم في الدعوة، فلا شك أنه يتصرف بنور الله يسير بهداه.

فالرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يختار لكل مقام المقال الذي يلائمه، ولكل مدعو الأسلوب الذي يناسبه، ومن أساليبه (صلى الله عليه وسلم) مراعاته لجوانب الشخصية عند المدعوين، فكان أسلوبه ذا قيمة عليا، لِما لهذا الأسلوب من تأثير في النفوس، وتطييب لها، وانشراح للصدور، وتفتح للعقول، وسرعة استجابة للحق، إذ كان يخاطب الناس على قدرة عقولهم وافهامهم ومكانتهم، فكان يدخل إلى قلوبهم من الجوانب التي امتازوا بها، وبرعوا فيها، وهذا أكثر مدعاة للاستجابة، فعلى سبيل المثال صاحب الجاه الذي يرى اهتماماً به يطمئن إلى المحافظة على جاهه، والقائد الشجاع الذي يرى أن مكانه مراعى عند من يدعوه، لا يوجد ما يضطره للنفرة منه وهكذا.(١٢٢)

وإن أبرز سمة في شخصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) المتعددة الجوانب أخلاقيته التي لا مثيل لها فلو أننا جمعنا كل خلق عظيم في العالم، وكل تصرف أخلاقي سليم تصرفه في يوم من الأيام إنسان، فإن ما نجده في حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يربو عليه مجتمعاً بأسره بل أمة كاملة بأسرها، مع انعدام التصرفات غير الأخلاقية في حياته (صلى الله عليه وسلم) ولا نجد في حياته تصرفاً يمكن أن نرى أعظم منه في باب الأخلاق عند غيره.(١٢٣)

وجدير بالقول: إن دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه، قد قامت على تلك الأسس والمفاهيم لهذا العلم، بل إنه يمكن لأي ناظر في الإرث النبوي المحفوظ في كتب السُنة والسيرة، أن يستخلص قواعد هذا العلم وأصوله، وكيفية تطبيقاته، من ذلك المنهج النبوي الذي بلغ حد الكمال في التعامل والذي امتاز بالشمول والتكامل فيما يتعلق بمتطلبات الروح والجسد.

الخاتمة

وفي مسك الختام لابد أن نؤكد: أن السُنة النبوية التي هي المصدر المعصوم الثاني لهداية المسلمين، وهي المرجع التالي لكتاب الله رب العالمين في مجال التشريع والفقه، وفي مجال الدعوة والتوجيه، لابد من أن تلقى اهتماماً واسعاً من علماء المسلمين والموجهين والدعاة إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك بأن يبحثوا في الأحاديث الشريفة ويردوا عنها شبهات المبطلين وزيف الحاقدين، وأن تلقى اهتماماً من عامة المسلمين بأن يواظبوا على الالتزام بها وتطبيقها وفهمها فهماً صحيحاً، وعدم تركها أو ترك جزئية من جزئياتها، ذلك أن تطبيقها يرضي الله سبحانه وتعالى، وينال بذلك المسلم سعادة الدنيا والفوز بالآخرة.

وقد تبين لنا في هذا البحث أن السُنة من حيث أهميتها وحجيتها، أنها أصل من أصول الدين الإسلامي، وهي وحي من الله كالقرآن، ولا فرق بين السُنة والقرآن، سوى أن القرآن متعبد بلفظه ومعناه من الله، أما السُنة فمعناها من الله ولفظها من الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وإن بعضهما مكمل للآخر، وإن طاعتهما واجبة علينا سواء بسواء.

وفي أثناء هذه الدراسة عرفنا أن السُنة مصدر للفقه والتشريع، وهي مصدر للدعوة والتوجيه، وهي كذلك مصدر للمعرفة لدى المسلم: المعرفة الدينية، وكذلك المعرفة الإنسانية، والاجتماعية، التي يحتاج إليها الناس، لتسدد طريقهم، أو تصحح خطأهم وأن جميع فقهاء المسلمين من مختلف المدارس وشتى الأمصار، كانوا يرون الأخذ بالسُنة، والاحتكام إليها، والرجوع إلى حكمها إذا تبينت لهم، جزء من دين الله ولا يسعهم الخلاف عن أمره.

كما تبين لنا أن من واجب المسلمين أن يعرفوا المنهج النبوي المفصل، بما فيه من خصائص الشمول، والتكامل والتوازن والتيسير، وما يتجلى فيه من معاني الربانية الراسخة، والإنسانية الفارعة والأخلاقية الأصيلة.

وقد تبين لنا أن السُّنة تعالج كثيراً من المشكلات الموضعية والجزئية والآنية، وفيها من الخصوص والتفاصيل ما ليس في القرآن، فلا بد من التفرقة بين ما هو خاص وما هو عام، وما هو مؤقت وما هو خالد، وما هو جزئي وما هو كلي، فلكل منها حكمه، والنظر إلى السياق والملابسات والأسباب التي تساعد على سداد الفهم واستقامته.

وأن مدرسة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانت جامعة للناس من جميع البلدان، وكانت عامة للأمم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وطبقاتهم في الثقافة والمجتمع، لم يكن ثمة أي قيد يمنع أي إنسان من الالتحاق بها، لأنها مأدبة كريمة يدعو العالمين إليها، قال تعالى مخاطباً سيدنا محمداً (صلى الله عليه وسلم) : **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)**.[١٢٤]

الهوامش:

---

[١] سورة النحل، من الآية:٤٤

[٢] سورة النساء، الآية: ٦٥

[٣] رواه مسلم ج:٢ ، ص: ٧٠٥

[٤] رواه البخاري، ج:٣ ، ص: ١٢٧٤

[٥] رواه البخاري، ج:٦ ، ص: ٢٥٢٣ ؛ والبيهقي ج:٨ ، ص: ٢٨

[٦] لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور أبو الفضل الأفريقي المصري. ج: ١٣، ص: ٢٢٥ ؛ والمطلع، محمد بن أبي الفتوح أبو عبد الله البعلي. ص: ١١٧

[٧] مختار الصحاح، محمد بن عبد القادر أبو بكر الرازي. ص: ٣٧١ ؛ وأساس البلاغة، محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشري. ج: ١، ص: ٤٦٢

[٨] حجية السنة، عبد الغني عبد الخالق. ص:٤٥

[٩] علوم الحديث ومصطلحه، صبحي الصالح. ص:٦

[١٠] سورة الأحزاب، من الآية: ٦٢

[١١] أصول الحديث ومصطلحه، أحمد شاكر غضيب، وجاسم محمد راشد. ص:٤

[١٢] أعلام المحدثين، الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة. ص: ٦ ؛ وضوء القمر على نخبة الفكر، الشيخ محمد بن علي أحمدين. ص: ١٤

[١٣] حجية السنة، عبد الغني عبد الخالق. ص: ٥٦

[١٤] لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث، عبد الفتاح أبو غدة. ص:١٤

[١٥] أصول الحديث علومه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب. ص:١٨

[١٦] الأحكام في أصول الأحكام، سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد أبو الحسن الآمدي. ص٢٤٧ ؛ وإرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني. ص٣٣ ؛ والسنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب. ص:١٥-١٦

(١٧) أصول الحديث علومه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب. ص:١٩ ؛ والأنموذج في أصول الفقه، فاضل عبد الواحد عبد الرحمن. ص:٧٦

(١٨) تاريخ التشريع الإسلامي، عبد اللطيف محمد السبكي، ومحمد علي السايس، ومحمد يوسف البربري. ص:٦٤ ؛ والمدخل إلى السُّنة وعلومها، محمد معروف الدواليبي. ص:١٠ ؛ والموافقات، إبراهيم بن موسى الغرناطي المالكي الشاطبي. ص:٣-٤

(١٩) رواه مسلم ، ج:٣، ص:١٣٤٣

(٢٠) أصول الحديث علومه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب. ص:١٩

(٢١) رواه مسلم، ج:٣، ص:١٥١٥

(٢٢) رواه البخاري، ج:١، ص:٤٣٤ ؛ ومسلم ج:١، ص:١٠

(٢٣) راوه البخاري، ج:١، ص:٢٢٦

(٢٤) رواه مسلم، ج:٢، ص٩٤٣ ؛ والنسائي ج:٥، ص:٢٧٠

(٢٥) الحديث الشريف وعلومه، رشدي عليان، وقحطان عبد الرحمن الدوري، ومحمد عبيد الكبيسي، وكاظم فتحي الراوي. ص:٩-١٠

(٢٦) رواه الترمذي، ج:٥، ص:٥٩٨

(٢٧) رواه الدارمي، ج:١، ص:١٦-١٧ ؛ والبيهقي، ج:٧، ص:٤٥

(٢٨) رواه البخاري، ج:٣، ص:١٩٥ ؛ ومسلم، ج:٤، ص:١٨٠٤

(٢٩) أصول الحديث علومه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب. ص:٤٦

(٣٠) علوم الحديث (السنة النبوية الشريفة)، داودسلمان صالح. ص:٩

(٣١) سورة النحل، من الآية:٤٤

(٣٢) الأحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم أبو محمد الظاهري. ص:٨٧

(٣٣) المدخل لدراسة السنة النبوية، يوسف القرضاوي. ص:٣٩

(٣٤) سورة النساء، الآية: ٥٩

(٣٥) سورة الحشر، من الآية: ٧

(٣٦) سورة المائدة، من الآية: ٩٢

(٣٧) سورة النساء، من الآية: ٨٠

(٣٨) سورة آل عمران، الآية: ١٣٢

(٣٩) سورة آل عمران، الآيتان: ٣١-٣٢

(٤٠) سورة النور، من الآية:٦٣

(٤١) رواه الحاكم، ج:١، ص:١٧١ ؛ والإمام مالك في الموطأ، ج:٢، ص:٨٩٩

(٤٢) رواه أبو داود، ج:٣، ص:٣٠٣ ؛ والدارمي، ج:١، ص:٧٢ ؛ وأحمد، ج:٥، ص:٢٤٢

(٤٣) رواه البخاري، ج:٥، ص١٩٤٩ ؛ ومسلم، ج:٢، ص:١٠٢٠

(٤٤) رواه أبو داود، ج:٤، ص٢٠٠ ؛ والترمذي، ج:٥، ص:٤٤

(٤٥) رواه أبو داود، ج:٤، ص٢٠٠ ؛ والترمذي، ج:٥، ص:٤٤

(٤٦) رواه البخاري، ج:٦، ص٢٦٥٥

(٤٧) رواه أبو داود، ج:٤، ص٢٢٠ ؛ والترمذي، ج:٥، ص:٣٧ ؛ وابن ماجه، ج:١، ص:٦

(٤٨) سورة الأنعام، الآية:٥٠

(٤٩) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٣

(٥٠) سورة الأنفال، الآية: ٢٤

(٥١) أعلام المحدثين، الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة. ص١٢-١٤ ؛ وأصول الحديث علومه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب ص:٤١-٤٢

(٥٢) الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي. ص:٤٩

(٥٣) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، يوسف بن عبد الله بن عبد البر أبو عمر القرطبي. ص:١٩١

(٥٤) تدوين السُّنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول حتى نهاية القرن التاسع الهجري، محمد بن مطر الزهراني. ص:١٩-٢٠

(٥٥) تلبيس إبليس، الإمام جمال الدين عبد الرحمن أبو الفرج ابن الجوزي. ص:١٠

(٥٦) أسباب اختلاف الفقهاء، إبراهيم مصطفى الزلمي. ص:٢٦٤ ؛ والوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان. ص:١٣٣

(٥٧) سورة الحجرات ، الآية: ١٥

(٥٨) الرسالة، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي. ص:٧٣-٧٤

(٥٩) المدخل إلى الدين الإسلامي، منير حميد البياتي، وقحطان عبد الرحمن الدوري. ص:٢٠٠-٢٠١

(٦٠) علوم الحديث (السنة النبوية الشريفة)، داودسلمان صالح. ص:١٣

(٦١) سورة النساء، الآية: ١١٥

(٦٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي. ص:١٢

(٦٣) المدخل لدراسة السنة النبوية، يوسف القرضاوي. ص: ٥١ - ٥٢

(٦٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني. ص:٣٣

(٦٥) المصدر السابق، ص:٣٣

(٦٦) سورة النجم، الآيتان:٣-٤

(٦٧) سورة الحشر، الآية:٩

(٦٨) سورة النساء، الآية:٨

(٦٩) سورة النحل، الآية:٦٤

(٧٠) مكانة السنة في التشريع الإسلامي، محمد لقمان السلفي. ص:٤٠

(٧١) السنة مصدراً للمعرفة والحضارة، يوسف القرضاوي. ص: ٨٧

(٧٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، زغلول راغب محمد النجار. ص: ٩

(٧٣) سورة البقرة، من الآية:٤٣

(٧٤) سورة البقرة، من الآية:١٧٨

(٧٥) سورة المائدة، من الآية:٤٥

(٧٦) رواه أبو داود ، ج:٤، ص:١٨٠

(٧٧) سورة البقرة، من الآية:٢٣٠

(٧٨) سورة التوبة، من الآية:١١٨

(٧٩) التربية الدينية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، فتحي علي يونس، ومحمد عبده أحمد، ومصطفى عبد الله إبراهيم. ص:٣٠٥-٣٠٦

(٨٠) السنة المفترى عليها، سالم علي البهنساوي. ص:٣٢٢

(٨١) السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب. ص:٢٧

(٨٢) في التشريع النبوي، المحامي محمود بابلّلي. ص:٤٨

(٨٣) أصول الحديث علومه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب. ص:٣٥

(٨٤) السنة بيان للقرآن، إبراهيم الخولي. ص:٢٢

(٨٥) سورة النساء، من الآية:١١

(٨٦) رواه أحمد، ج:١، ص:٣٠٥ ؛ والبيهقي ج:٦، ص:٢١٩

(٨٧) أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي، حمد عبيد الكبيسي، وصبحي محمد جميل. ص:٧٥-٧٨

(٨٨) سورة البقرة، الآية:١٨٠

(٨٩) رواه ابن ماجه، ج٢، ص:٩٠٦ ؛ والبيهقي، ج:٦، ص:٢٤٤

(٩٠) السنة المفترى عليها، سالم علي البهنساوي. ص:٣٢٤

(٩١) رواه أبو داود، ج:٤، ص:٢٠٠ ؛ والترمذي، ج:٥، ص:٤٤

(٩٢) الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي. ص:١٥

(٩٣) سورة النساء، الآية: ٥٩

(٩٤) أعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر أبو عبد الله ابن قيم الجوزية. ص:٤٨

(٩٥) كيف نتعامل مع السنة النبوية، يوسف القرضاوي. ص: ٣١ - ٣٢

(٩٦) رواه المناوي في " فيض القدير "، ج: ٦ ،ص:٣٩٦

(٩٧) سورة المائدة، الآية:٧٧

(٩٨) رواه النسائي، ج:٢ ،ص:٤٣٥ ؛ وابن ماجه، ج:٢ ،ص:١٠٠٨

(٩٩) رواه مسلم، ج:٤ ،ص:٢٠٥٥ ؛ وأبو داود، ج:٤ ص:٢٠١

(١٠٠) كيف نتعامل مع السنة النبوية، يوسف القرضاوي. ص: ٣٣ - ٣٤

(١٠١) المصدر السابق، ص: ٣٤ - ٣٥

(١٠٢) الروح، محمد بن أبي بكر أبو عبد الله ابن القيم الجوزية. ص:٦٢ - ٦٣

(١٠٣) سورة فاطر، من الآية:١٤

(١٠٤) المدخل لدراسة السنة النبوية، يوسف القرضاوي. ص: ٩٩ - ١٠٠

(١٠٥) المصدر السابق، ص: ١٠٠ - ١٠١

(١٠٦) المدخل لدراسة الحديث والسنة، سمر العشّا. ص:٣١٥ - ٣١٦

(١٠٧) المصدر السابق، ص:٣٢٠ - ٣٢٢

(١٠٨) المصدر السابق، ص:٣٢٣

(١٠٩) المصدر السابق، ص:٣٩٢

(١١٠) نحو منهج تربوي أصيل، محمد حسن بريغش. ص: ٧٣ بتصرف

(١١١) المدخل إلى دراسة الحديث والسنة، سمر العشّا. ص: ٩٤

(١١٢) سورة الأنبياء، الآية :١٠٧

(١١٣) سورة الحجر، الآية:٩

(١١٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧

(١١٥) علم النفس في الحديث الشريف، سعد رياض. ص: ١٥ - ١٧ بتصرف

(١١٦) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، عبد الفتاح أبو غدة. ص: ٢١٦

(١١٧) سورة الجمعة، الآية:٢

(١١٨) رواه ابن ماجه، ج: ١، ص: ٨٣

(١١٩) علم النفس في الحديث الشريف، سعد رياض. ص:٩ بتصرف

(١٢٠) المصدر السابق، ص:٩ -١٠ بتصرف

(١٢١) البيان والتبيين، عمر بن بحر أبو عثمان الجاحظ. ج:١، ص: ٢٢١

(١٢٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد محمود العاني. ص: ٢٧ - ٢٨

(١٢٣) الرسول (صلى الله عليه وسلم)، سعيد حوى. ص: ١٣٦ بتصرف

(١٢٤) سورة الأنبياء، الآية :١٠٧

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١- الأحكام في أصول الأحكام، الإمام سيف الدين علي بن أبي علي بن محمد أبو الحسن الآمدي.ت٦٣١هـ.ط/١، دار الاتحاد العربي، القاهرة – مصر، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م. [١٤ جزءً]

٢- الأحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن حزم أبو محمد الظاهري ت٤٥٦هـ.ط/١، دار الحديث، القاهرة – مصر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م. [٨ أجزاء]

٣- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني.ت١٢٥٠هـ. تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب، ط/١، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٤٢م.

٤- أساس البلاغة، محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشري ت ٣٥٧هـ. دار مطابع الشعب، القاهرة – مصر، ١٩٦٠م.

٥- أساليب الدعوة والتربية في السُّنة النبوية، زياد محمود العاني.ط/١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سورية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٦- أسباب اختلاف الفقهاء، إبراهيم مصطفى الزلمي.ط/١، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

٧- أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي، حمد عبيد الكبيسي، وصبحي محمد جميل. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، ١٩٨٧م.

٨- أصول الحديث علومه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب.ط/١، دار الفكر الحديث، بيروت – لبنان، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.

٩- أصول الحديث ومصطلحه، أحمد شاكر غضيب، وجاسم محمد راشد. (دط)، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بغداد - العراق، ١٩٩٧م.

١٠- الإعجاز العلمي في السُّنة النبوية، زغلول راغب محمد النجار. ط/٢، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ٢٠٠٧م.

١١- أعلام المحدثين، الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة.ط/١ ، د ار الكتب العربي، القاهرة – مصر، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

١٢- أعلام الموقعين عن رب العالمين، الإمام محمد بن أبي بكر أبو عبد الله ابن قيم الجوزية ت٧٥١هـ. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، (دط)، دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٩٧٣م. [جزءآن]

١٣- الأنموذج في أصول الفقه، فاضل عبد الواحد عبد الرحمن.ط/٢، دار الحكمة للنشر والترجمة والتوزيع، بغداد، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٤- البيان والتبيين، عمر بن بحر أبو عثمان الجاحظ ت ٢٢٥هـ. تحقيق: المحامي فوزي عطوي،ط/١، دار صعب، بيروت – لبنان، ١٩٦٨م. [جزءآن]

١٥- تاريخ التشريع الإسلامي، عبد اللطيف محمد السبكي، ومحمد علي السايس، ومحمد يوسف البربري.ط/٣، مطبعة الاستقامة، القاهرة – مصر، ١٩٤٦م.

١٦- تدوين السُّنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، محمد بن مطر الزهراني.ط/١، مكتبة الصديق، الطائف – المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١٧- التربية الدينية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، فتحي علي يونس، ومحمد عبده أحمد، ومصطفى عبد الله إبراهيم.ط/١، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٨- تلبيس إبليس، الإمام جمال الدين عبد الرحمن أبو الفرج ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ. (دط)، مكتبة الشرق الجديدة، بغداد – العراق، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٩- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ت ٢٥٦هـ. تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط/٣، دار ابن كثير، بيروت – لبنان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. [٦ أجزاء]

٢٠- الجامع الصحيح سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى ت ٢٧٩هـ. تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، (دت). [٥ أجزاء]

٢١- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، يوسف بن عبد الله بن عبد البر أبو عمر القرطبي ت ٤٦٣هـ.ط/٢، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

٢٢- حجية السنة، عبد الغني عبد الخالق. (دط)، دار السعداوي للطباعة والنشر، دار التربية للطباعة والنشر، (دم)، (دت).

٢٣- الحديث الشريف وعلومه، رشدي عليان، وقحطان عبد الرحمن الدوري، ومحمد عبيد الكبيسي، وكاظم فتحي الراوي.ط/٤، مطبعة وزارة التربية، بغداد، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٤- الرسالة، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي ت ٢٠٤هـ. تحقيق: أحمد محمد شاكر، (دط)، (د.ن)، القاهرة – مصر، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.

٢٥- الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، سعيد حوى.ط/٣، دار الكتب العربية، بيروت – لبنان؛ دمشق – سورية، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢٦- الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، عبد الفتاح أبو غدة.ط/٤، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بيروت – لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٢٧- الروح، محمد بن أبي بكر أبو عبد الله ابن القيم الجوزية ت ٦٩١هـ. (دط) ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٢٨- السنة المفترى عليها، سالم علي البهنساوي.ط/٤ ، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٩- السنة بيان للقرآن، إبراهيم الخولي.ط/٢، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣٠- السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب.ط/١، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٧م.

٣١- السُّنة مصدراً للمعرفة والحضارة، يوسف القرضاوي.ط/٤، دار الشروق، القاهرة – مصر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٢- السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي.ط/١، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة – مصر، ١٩٦٦م.

٣٣- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله ابن ماجه ت ٢٧٥هـ. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت – لبنان، (د.ت). [جزءآن]

٣٤- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود ت ٢٧٥هـ. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت – لبنان، (د.ت). [٤ أجزاء]

٣٥- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ت ٤٥٨هـ. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م. [١٠ أجزاء]

٣٦- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي ت ٢٥٥هـ. تحقيق: فواز أحمد زمولي، وخالد السبع العلمي، ط/١، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. [جزءآن]

٣٧- سنن النسائي (المجتبى)، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ت ٣٠٣هـ. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط/٢، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب – سورية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. [٨ أجزاء]

٣٨- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج مسلم ت ٢٦١هـ. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان (د.ت). [٥ أجزاء]

٣٩- ضوء القمر على نخبة الفكر، الشيخ محمد بن علي أحمدين. دار المعارف، مصر، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م.

٤٠- علم النفس في الحديث الشريف، سعد رياض. (د.ط)، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، (د.م)، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٤١- علوم الحديث (السنة النبوية الشريفة)، داود سلمان صالح.ط/٤، مطبعة الميناء، بغداد، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٤٢- علوم الحديث ومصطلحه، صبحي الصالح.ط/١٨، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ١٩٩١م.

٤٣- في التشريع النبوي، المحامي محمود بابلّلي.ط/١، دار الإرشاد التربوي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٤٤- فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي.ط/١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ. [٦ أجزاء]

٤٥- الكفاية في علم الرواية، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ. تحقيق: أبو عبد الله السورقي، وإبراهيم حميد المدني، (د.ط)، المكتبة العلمية، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، (د.ت).

٤٦- كيف نتعامل مع السنة النبوية، يوسف القرضاوي.ط/٩، الدار العربية للعلوم، بيروت – لبنان، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٤٧- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور أبو الفضل الأفريقي المصري ت ٧١١هـ.ط/١، دار بيروت للطباعة، بيروت – لبنان، ١٩٥٦م. [١٥ جزء]

٤٨- لمحات من تاريخ السُّنة وعلوم الحديث، عبد الفتاح أبو غدة.ط/٥، دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٤٩- مختار الصحاح، محمد بن عبد القادر أبو بكر الرازي ت ٦٦٦هـ.ط/١ ، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٩٦٧م.

٥٠- المدخل إلى الدين الإسلامي، منير حميد البياتي، وقحطان عبد الرحمن الدوري.ط/١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

٥١- المدخل إلى السنة وعلومها، محمد معروف الدواليبي. (دط)، مطبعة الجامعة السورية، دمشق – سورية، ١٩٥٦م.

٥٢- المدخل إلى دراسة الحديث والسُنة، سمر العشّا. (دط)، (دن)، دمشق – سورية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٥٣- المدخل لدراسة السُنة النبوية، يوسف القرضاوي. (دط)، (دن) ، الدوحة – قطر، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٥٤- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم ت ٤٠٥هـ. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م. [٤ أجزاء]

٥٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ت ٢٤١هـ. مؤسسة قرطبة، مصر، (دت). [٦ أجزاء]

٥٦- المطلع، محمد بن أبي الفتح أبو عبد الله البعلي ت ٧٠٩هـ. تحقيق: محمد بشير الأدلبي، (دط)، المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٤١٠هـ -١٩٨١م.

٥٧- مكانة السُنة في التشريع الإسلامي، محمد لقمان السلفي.ط/٢، دار الداعي، الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥٨- الموافقات، إبراهيم بن موسى الغرناطي المالكي الشاطبي ت ٧٩٠هـ. تحقيق: عبد الله دراز، (دط)، دار المعرفة، بيروت – لبنان، (دت). [٤ أجزاء]

٥٩- موطأ الإمام مالك، الإمام مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي ت ١٧٩هـ. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، (دت). [جزءآن]

٦٠- نحو منهج تربوي أصيل، محمد حسن بريغش.ط/١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٦١- الوجيز في أصول الفقه، عبد الكريم زيدان.ط/٦، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.